المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 -Electronic ISSN 2790-1254
العدد 9 لسنة 2023
No. 9 – May 2023

نظرية نهاية التاريخ بين الأسس القرآنية والفكر البشري (دراسة نقدية لنظرية نهاية التاريخ لفوكوياما)

أ.د رياض عبد الرحيم الباهلي
الباحث:علي حسين عبد الخفاجي
جامعة المصطفى (ص) العالمية، كلية الدراسات العليا والعلوم والمعارف في قم المقدسة

الملخص

يهدف هذا البحث إلى بيان نظرية نهاية التاريخ بنظام الديمقراطية التي طرحها العالم الأمريكي فرانسيس فوكوياما على انه نظام سوف يحكم العالم حيث كان فوكوياما يصر على أن البشرية قد وصلت إلى نهاية التاريخ فيما يتعلق بالنظام السياسي، ولا سيما بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، وأن الديمقراطية الليبرالية ستنتصر لأنها- حسب اعتقاده- خالية من العيوب، وأن هذه الديمقراطية المتحررة، ونظامها الاقتصادي الذي يتحكم فيه السوق، هما البديلان الوحيدان للمجتمعات الحديثة، وأن التاريخ اتجاهي ومتجدد، ويبلغ ذروته في إطار الدولة الحديثة المتحررة.

توصل فوكوياما إلى هذه النتيجة باستخدام التاريخ من وجهة النظر الهيغيلية- الماركسية الخاصة بالتطور التقدمي للمؤسسات البشرية السياسية والاقتصادية، ولذلك فهو يرى أن التاريخ هنا مدفوع بعاملين: الأول فهم علم وتقنية الطبيعة الحديث، الذي يوفر أساس التحديث الاقتصادي، والآخر النضال من أجل الحصول على الاعتراف، الذي يتطلب- في نهاية الأمر- نظاما سياسيا يعترف بحقوق الإنسان المتعارف عليها دوليا، كما أنه يرى أن ذروة عملية التطور التاريخي ليست في الاشتراكية- كما يرى الماركسيون- وإنما في الديمقراطية وفي اقتصاد السوق؛ ولذلك فهو يراهن على نجاح العولمة كنموذج تنموي.

يعتقد أننا وصلنا إلى نهاية التاريخ، بمعنى انتهاء حقبة وبداية أخرى فكان هدف البحث بيان مفهوم نظرية نهاية التاريخ من خلال الكشف عن محتواها السياسي وعلى ماذا تعتمد في صياغتها وايضاً ومعرفة أصولها هل هي من ابداعات فوكوياما ام انه اخذها من غيره وأنها كانت مطروحة من قبل الحكومات الماضية وتحدث عنها العلماء السابقين كما ناقش البحث إمكانية الفكر البشري من صنع نظام خالد يحقق كل متطلبات الانسان وفق العدالة والمساواة ومن خلال مراجعة التاريخ في اول تشكيل نظام حاكم المتمثل في اليونان والى يومنا هذا تبين تعدد الأنظمة والتعديلات التي تجري على أنظمتها ولم تحقق العدالة والمساواة لشعوبها ثم يبحث نهاية التاريخ وفق الأسس القرآنية باعتبار ان القران منهاج للإنسان في تنظيم شؤون حياته على المستوى الفردي والاجتماعي كما يبين النظام الذي ينتهي به التاريخ.

الكلمات المفتاحية: قرآن الكريم، الأسس القرآنية، الفكر البشري، لفوكوياما.

The Theory Of The End Of History Between The Quranic Foundations And Human Thought (A Critical Study Of Fukuyama's End Of History Theory(

Prof. Dr. Riyadh Abdul Rahim Al-Bahli
Researcher: Ali Hussein Abdul Khafaji
Al-Mustafa University (PBUH), College of Graduate Studies, Sciences and Knowledge in the Holy City of Qom

Summary

This research aims to demonstrate the theory of the end of history with the democracy system put forward by the American scientist Francis Fukuyama as a system that will rule the world, as Fukuyama was insisting that humanity had reached the end of history with regard to the political system, especially after the fall of the Soviet Union, and that liberal democracy would triumph Because it -

according to his belief - is free from defects, and that this liberal democracy and its economic system that is controlled by the market are the only alternatives to modern societies, and that history is directional and renewable, and it reaches its climax within the framework of the modern liberal state.

Fukuyama reached this conclusion by using history from the Hegelian-Marxist point of view of the progressive development of human political and economic institutions, and therefore he believes that history here is driven by two factors: the first is an understanding of modern science and technology of nature, which provides the basis for economic modernization, and the other is the struggle to obtain recognition , which requires - in the end - a political system that recognizes internationally recognized human rights, and it also believes that the peak of the process of historical development is not in socialism - as Marxists see - but rather in democracy and the market economy; Therefore, he is betting on the success of globalization as a development model.

It is believed that we have reached the end of history, meaning the end of one era and the beginning of another. The aim of the research was to clarify the concept of the theory of the end of history by revealing its political content and what it depends on in its formulation, as well as knowing its origins. The past and former scholars talked about it. The research also discussed the possibility of human thought creating an immortal system that fulfills all human requirements in accordance with justice and equality. By reviewing history in the first formation of a ruling system represented in Greece, and to this day, the multiplicity of systems and modifications that take place in their systems have been shown and did not achieve justice and equality for their people. Then it discusses the end of history according to the Qur'anic foundations, considering that the Qur'an is a method for man in organizing his life affairs at the individual and social level, as it shows the system with which history ends.

Keywords: the Holy Quran, Quranic foundations, human thought, Fukuyama.

المقدمة

تسارعت الاحداث في العقد الماضي بعد انتهاء الحرب الباردة واخذ الحديث عن تغيير في السياسة العالمية من خلال اعلان ولادة جديدة من الصراعات فهذا الوضع الدولي الجديد بما به من ظروف أتاح الفرصة للسياسيين والمفكرين الأمريكيين لصياغة النظام الدولي الجديد الذي يتجسد بضمان التفوق والانفراد الأمريكي بمقومات القوة والهيمنة العالمية وبالتزامن مع هذه الأحداث والاضطرابات السياسية العالمية ظهرت أطروحة نهاية التاريخ بنظام يسود العالم هو الانتصار العالمي لديمقراطية الليبرالية الاقتصادية اي نهاية المجال السياسي والاقتصادي في تاريخ ففكرة نهاية التاريخ ليست فكرة أصيلة ووليدة النظام الأمريكي بل وانما أسس لها دعاة فاشتهربها كل من هيغل وكارل ماركس فهذا الأخير يعتقد أن اتجاه تطور التاريخي كان واحد هادف يحدد التفاعل بين القوى المادية وسيأتي نهايته في تحقيق الشيوعية وانتصارها أما هيغل ينطلق من مفهوم التاريخ باعتباره سيرورة ديالكتيكية مع بداية للوصول إلى النهاية حيث يعتبر أن تاريخ يتوج بشكل نهائي وعقلاني في

انتصار مجتمع ودولة فاعلان نهاية التاريخ في 1806م من خلال الثورتين الفرنسية والأمريكية التي أوصلتنا نهاية التاريخ والتي تتجسد في الليبرالية الديمقراطية يعتبر موضوع نهاية التاريخ من مواضيع الساعة ومن القضايا الساخنة التي لا تزال تبحث لحد الآن ذلك لما لها من تداعيات لم تتوقف في عالم ولا تزال تظهر واحدة تلوي الأخرى علي الصعيد الأحداث العالمية اليوم وخاصة العالم الغربي ولهذا فان نظرية نهاية التاريخ ولدت في حقول الفلسفة ثم انتقلت إلى حقل السياسة مع فرانسيس فوكوياما مستندا إلى مجموعة من المرتكزات الفكرية والثقافية والسياسية والإيديولوجية في سياقها المتشعب محاولة لتبرير واقع عالمي صنع دولة مثالية تتمحور في الديمقراطية الليبرالية إذا هي النظرية التي أصبحت اليوم محط اهتمام مختلف الاكاديميين والسياسيين والمنتظرين وحتى الخبراء الاستراتيجيين في العالم بين نهاية هذه النظرية وصمودها ولهذا سوف نبحث هذه النظرية هل ان الديمقراطية الليبرالية وليدة اليوم ام لها أساس في التاريخ وهل حققت ما يصبو الية الشعوب التي عملت بها وهل ينتهي عليها العالم ام هناك نظام اخر يحقق العدالة والمساواة بين الناس

1. معنى نهاية التاريخ

التاريخ هو المسار الفكري والسياسي والاقتصادي... الخ التي تمر به حضارات معينة وحتى يتضح لنا مفهوم نهية التاريخ لابد لنا من تسلسل في التعريفات حتى الوصول إلى ما نريده من مفهوم جامع الإصطلاح التاريخ.

المطلب الأول: مفهوم التاريخ

اذا كان التاريخ هو المسار الفكري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي لابد من الوقوف على مفهوم التاريخ لكي يتسنى لنا الوقوف على كيفية نهايته وما العوامل المساعدة في ذلك.

التاريخ لغة:

يعرّف التأريخ لغة: أرّخ أي حدّد تاريخه والحادث ونحوه، فصّل تاريخه وحدّد وقته"[1] وقال ابن منظور: "أرّخَ: التأريخ: تعريف الوقت، والتوريخ مثله، أرّخ الكتاب ليوم كذا: وَقَّتَه، وتأريخ المسلمين: أُرّخ من زمن هجرة سيدنا رسول الله ’ فكُتب في خلافة عمر فصار تأريخًا إلى اليوم"[2].

"التاريخ في اللّغة تعريف الوقت وتاريخ الشيء وقته وغايته والتاريخ أيضا علم يبحث في الوقائع والحوادث الماضية والحقيقة، قال ابن خلدون أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الّذي هو عمران العالم"[3].

التاريخ اصطلاحاً:

كما أن التاريخ بالمفهوم الاصطلاحي "هو جملة الأحوال والحوادث التي يمر بها كائن ما وتصدق على الفرد والمجتمع كما تصدق على الظواهر الإنسانية، وعند هيجل التاريخ جزء من الفلسفة لأنه ليس مجرد دراسة وصفية بل هو أقرب إلى التحليل وبيان الأسباب"[4].

فالتاريخ في المنهج التاريخي يقصد به: «العلم الذي يبحث في حياة الأمم والمجتمعات والعلاقات التي تقوم بينها»[5].

والتاريخيّة منهج، بمعنى أنّ كلّ شيء أو كلّ حقيقة تتطوّر مع التاريخ، فهو منهج يهتمّ بدراسة الأشياء والأحداث من خلال ارتباطها بالظروف التاريخيّة[6].

على هذا تكون الحقائق كلّها تاريخيّة، بمعنى أنّها تتّصف بالنسبيّة التاريخيّة، أيّ إنّها تتطوّر بتطوّر التاريخ.

وفي المعجم اللغوي الحديث المعجم الوسيط يشار الى التاريخ بأنه (جملة الأحوال والاحداث التي يمر بها كائن ما ويصدق على الفرد والمجتمع كما يصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية)[7] وفي اللغات الاوربية الحديثة "فأنه يشار الى مصطلح التاريخ بأنه مشتق من الأصل اليوناني storia الذي يعني القصة والحكاية ككلمة history في اللغة الإنجليزية histoire في الفرنسية وكلمة التاريخ الألمانية geschiehte مشتقة من الفعل geschn بمعنى يحدث وهي تطلق على ما يحدث من الأفعال والاحداث معاً فهي تشمل الجانبين الذاتي والموضوعي في وقت واحد ويفرق عادة الالمان بين التاريخhistorik بمعنى تجمع الاخبار والحوادث او فن التاريخ geschichte الذي لا بد فيه من وجهة نظر شاملة عن معناه وغايته"[8].

"يفترض التاريخ استمرارا واتصالا في التطور بحيث يكون الماضي داخلا في تكوين الحاضر والمستقبل، وينقسم التاريخ إلى تاريخ علم العالم أو تاريخ خاص ببلد أو أمة أو منطقة أو فترة من فترات الزمان، ولكن أيا

كان الأمر فالتاريخ ينظر إليه أساسا على أنه يؤلف وحدة"[9].

فالتاريخ علم يجمع المعلومات عن الماضي والتحقق منها ثم تفسيرها عن طريق التطور الحاصل على حياة الأمم والمجتمعات والحضارات المختلفة ثم يبين كيفية حصول هذا التطور ولماذا حدث فعليه يعد علم التاريخ فرع من فروع المعرفة الإنسانية.

الفرق بين التاريخ والتأريخ

كيف نستطيع التفريق بين التاريخ والتأريخ في اللّغة والاصطلاح؟ قد يختلط عند البعض تعريف التاريخ والتأريخ فيعتقد أنّ لهما المعنى نفسه، لكن العلماء وضعوا لنا خُلاصة اجتهاداتهم في التفريق بينهما. من حيث التعريف اللغوي قال السخاوي في كتابه الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ: "التاريخ لغة: الإعلام بالوقت، يُقال: أرّخت الكتاب، وورّخته؛ أي بيّنت وقت كتابته[10] يعرّف التأريخ لغة: أرّخ أي حدّد تاريخه والحادث ونحوه، فصّل تاريخه وحدّد وقته"[11] قال ابن منظور: "أرّخَ: التأريخ: تعريف الوقت، والتوريخ مثله، أرّخ الكتاب ليوم كذا: وَقَّتَه، وتأريخ المسلمين: أُرّخ من زمن هجرة سيدنا رسول الله، فكُتب في خلافة عمر- رضي الله عنه- فصار تأريخًا إلى اليوم"[12] من حيث التعريف الاصطلاحي في التعريف الاصطلاحي فإنّ التاريخ هو: "التعريف بالوقت الّذي تُضبط به الأحوال من مولد الرّواة والأئمة، ووفاة، وصحة، وعقل، وبدن، ورحلة، وحج، وحفظ، وضبط، وتوثيق، وتجريح، وما أشبه هذا، ممّا مرجعه الفحص عن أحوالهم في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم، ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة، من ظهور ملمّة، وتجديد فرض، وخليفة، ووزير، وغزوة، وملحمة، وحرب، وفتح بلد وانتزاعه من متغلب عليه، وانتقال دولة، وربما يتوسّع فيه لبَدء الخلق وقصص[13]." تعريف كلمة التأريخ في الاصطلاح: "التاريخ جملة الأحوال والأحداث التي يمر بها كائن ما، ويصدق على الفرد والمجتمع، كما يصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية، والتأريخ تسجيل هذه الأحوال والمؤرّخ: هو عالم التاريخ"[14] من حيث تعريف العلماء لكل منهما لقد اختلف العلماء في تعريفهم للتأريخ ما بين كونه بحثًا عن الحقائق التاريخية الثابتة والشّروع بتدوينها، أو ربط هذه الحقائق وطرح الأسباب التي أدّت إلى حدوثها. فمهمة المؤرخ الرئيسية هي البحث عن الحقائق وتقديم التفاسير وربط الأحداث ببعضها بأسلوبه الخاص وخلفيته المعرفية حول التاريخ، ليكون المؤرخ بذلكَ هو محور الموضوع؛ لأنّه يقدم رؤيته للماضي بمعطيات الحاضر بما فيه من قضايا ومشاكل ليكون التأريخ بذلك هو عمليةُ تقديرٍ للتاريخ وليس تسجيله.[15] التأريخ هو قيام المؤرخ بتسجيل جميع الرّوايات التاريخيّة المكتوبة والمنقولة مستعينًا بذلك بقراءة كلّ ماورد في الكتب وكلّ ما سمعهُ من النّاس ليقوم بعدها بالحفظ والتدوين.[16] يُطلق لفظ التاريخ على جميع المعلومات الموجودة في الكون من حيث النشأة والمكوّنات والأحداث التي حصلت على الأرض منذ بدء الإنسان إلى اليوم[17].

المطلب الثاني: مفهوم النهاية الأيديولوجيا

من المصطلحات الحديثة في الحضارة الغربية وقد استخدم بشكل واسع. وان كلمة نهاية في الفلسفة استعملت في اغلب الأحيان مقرونة بكلمة غاية وكأن النهاية لا تكون الا بتحقيق الغاية والوصول اليها[18] ويبين احد الباحثين ان معنى التاريخ مرتبط بمسار التاريخ ويشير الى هذه الفكرة عرفت لدى رجال الدين وخصوصا مع اليهود والمسيح الذين افترضوا وجود هدف يتحرك مسار التاريخ اتجاهه والذي يمكن من خلاله ان تتحقق غاية التاريخ[19] ويبين كذلك ان هذه الفكرة أي معرفة غاية التاريخ ومسيرته وتحقق نهاية التاريخ انتقلت الى رواد فكر عصر الانوار بوجهة النظر الغائية الدينية غير انهم لم يربطوا الرؤية الدينية بالهدف الذي يسعون الى توجيه التاريخ نحوه وهكذا امكن لهم ان يبعثوا الطابع العقلاني للمسار التاريخي نفسه واصبح التاريخ عبارة عن تقدم نحو الهدف يتمثل بكمال وضعية الانسان على الأرض[20].

"نهاية الشيء غائية وأخرى تقول نهاية الظاهرة آخرها في الزمان ونهاية الجسم حده في المكان ومنه قولنا نهاية الكتاب ونهاية السنة، والنهاية مقابلة للبداية"[21].

اما الأيديولوجيا فقد عرفها "لالاند" في موسوعته انها كلمة ابتكرها "دستوت دوترسي" في كتابه مذكرة حول ملكة التفكير فقال "وهو علم موضوعه دراسة الأفكار والمزايا وقوانينها وعلاقاتها مع العلامات التي تمثلها وبالأخص أصلها"[22]. ان الأفكار التي يحملها الناس لكي يعرف الصحيح منها من الخطأ تدرس بواسطة

الأيديولوجيا التي هي علم الأفكار. وقد عرفتها موسوعة "اشيت" على انها "الأيديولوجيا مذهب وضعه (ذي تراسي) لاستبدال الميتافيزيقيا التقليدية بالدراسة العلمية لأفكار بالمعنى العام الظواهر الوعي وهي مجموعة من الأفكار الفلسفية السياسية الأخلاقية والدينية الخاصة بحقبة او جماعة اجتماعية مثلا أيديولوجيا عصر التنوير"[23].

اما موسوعة الأبجدية لاروس "فالايديولوجيا تشير الى الطريقة التي يدرك بها الافراد علاقاتهم بالطبيعة وبالأفراد الآخرين تسعى الايديولوجيا الى ادماج الأفراد في البنية الاجتماعية لأن تزودهم بمعرفة دقيقة"[24].

2. مفهوم نهاية التاريخ قبل فوكوياما

في هذا المبحث نتناول مفهوم نهاية التاريخ حسب التتبع الزمني ولهذا سنعرضها بدأ من الفلسفة اليونانية وصولا إلى العصر الحديث والمعاصر.

المطلب الأول: نظرة الفكر اليوناني لنهاية التاريخ

يؤمن الفكر الشرقي عموما بفكرة نهاية التاريخ، لكنه لا يفصح عنها إلاّ في متون الترانيم، ذات الطابع الميتافيزيقي والأخلاقي "كما آمن الفراعنة بفكرة النهاية، لأن الموت هو نهاية الزمن البشري وبداية السّرمدية أي اللاّزمن، فالفرعون يمثل الخلود، حتى في حالة موته لا يعتبر موته فناءاً بل وجها آخرا للخلود ولذا كانت العقائد الوثنية الفرعونية، تؤكد في طقوسها على ضرورة دفن الفرعون مع ماله وخدمه وحشمه في أهرامات مميزة، معتقدين أن الموت مجرد حلقة بين الفرعون كنصف إلــه والفرعون كإله"[25].

قال عبد القادر بو عرفه: "أكدت الأساطير اليونانية على مقولة وفكرة نهاية التاريخ والعالم، ثم جاء الخطاب الفلسفي ليعطي لها أبعادا ومميزات جعلت من الفكرة قاعدة ومبدأ لكل خطاب ميتافيزيقي أو ثيولوجيا. وهكذا فإن أفلاطون في محاوراته استعمل الأسطورة كبرهان وبيان، ووظّف المفاهيم الميثولوجيا توظيفا مثاليا. فهو يجعل من نهاية التاريخ حتمية ديالكتيكية، تحدث عندما يختفي «الشبح» ويبرز «المثال» متعاليا عن كل ما هو مادي، إن نهاية التاريخ لا تكون بالحرب -كما يعتقد أهل اسبرطة-بل تتم عندما يحدث التطهير الذاتي المبني على مبدا التأمل العقلي الخالص، والجدل الصاعد والنّازل. فالدّيالكتيك هو صعود أو تقدم نحو الكمال، عندما يصل إلى نقطة الاكتمال يتحد الفرد مع الجوهر مشكلا المطلق الذي هو الخير"[26] ويقول فتحي التريكي في هذا الصدد: «فالديالكتيك هو الصعود الذي يصل بنا درجة فدرجة إلى معرفة الجوهر في حدّ ذاته، نعني الخير المطلق»[27].

أمّا أرسطو طاليس، فيجعل نهاية التاريخ حتمية اجتماعية مبنية على قاعدتين الأنا المتعالية والتي يمثلها المواطن الاثني فقط، علما أن الإنسان خارج حدود أثينا يمثل الإنسان أي التوحش والبربرية.

والقاعدة الثانية، مؤسسة على القوة التي تتجلى في الحرب العادلة التي تهدف إلى أنسنه المتوحش. وبناء على ما سبق فإن أرسطو جعل من الإسكندر المقدوني النموذج الذي يحقق فكرة نهاية التاريخ، وأغرقة (نسبة إلى الإغريق) العالم القديم مثلما يحاول الساسة الأمريكيون اليوم فعله أي أمركة العالم. إن غزو الإسكندر للعالم القديم كاد أن يحقق أهدافه لو لم يمت الإسكندر في الثلاثين من عمره. وبعد محاولة اليونان لإنهاء التاريخ جاء دور الرومان وقد داعبهم حلم رومنة العالم عن طريق القوة ومبدأ السيادة على الأرض، غير أن ظروفا اجتماعية وأخرى كونية منعت الرومان من تحقيق مقولة «الأرض للرومان» رسخت في أذهان الرومان عقائد ثلاث: شعب مارس لا يجلو أبدا عن أرض غزاها، شباب روما لا يذبل، حدود روما لا تتزحزح ذكرها مونتيسكو في كتابــه «أسباب عظمة وانحطاط الرومان»[28].

يمكن أن نأخذ بعين الاعتبار الفلسفة اليونانية كتجسيد لفكر نهاية التاريخ، لكن ليس كما هو عليه اليوم، فمثلا عند كلّ من أفلاطون وأرسطو نجدهم تحدثوا عن الجانب السياسي في فكرهم الفلسفي وأعطوا أبعادا ومبادئ وأساسيات للوصول إلى الدولة المثالية من خلال رؤيتهم الخاصة، فأفلاطون بنظريته المثالية التي تحدد بداية الإنسان ونهاية التاريخ الّذي يكون بارتقاء الروح الإنسانية من عالم الواقع إلى عالم المثل، حيث جمع بين النزعة الروحية والنزعة العقلية وذلك عن طريق إيمانه بالفلسفة التي تستطيع أن تخلص النفس وتدخلها النعيم، وحتى وإن كانت فلسفة أفلاطون المثالية كما هو متداول لا يخفي أن أفلاطون استعمل العقل في تحقيقه لنظريته السياسية في كتابه "الجمهورية" وذلك عبر الرسالة التي أراد أن يوصلها والتي تحتوي داخلها عن تعاليم

أخلاقية، صنع مواطن صالح، الحاكم "فيلسوف" ولذلك يجدر بنا أن نتأمل في فكره إبان الأزمات التي يتخبط فيها العالم اليوم.

"وفكرة نهاية التاريخ (دون المصطلح) ليست فكرة جديدة أو مُستحدثة، بل هي فكرة كان لها دعاة منذ القدم بدءاً من الفكر اليوناني، فأفلاطون رأي أن نهاية التاريخ تكون بارتقاء الروح الإنسانية من عالم الواقع إلى عالم المُثل، حيث يجمع بين النزعة الروحية والنزعة العقلية وذلك عن طريق إيمانه بالفلسفة التي تستطيع أن تخلص النفس وتدخلها النعيم. بينما أرسطو في كتابه "السياسة" ربط نهاية التاريخ بنهاية النظم السياسية الفاسدة وإنّ كلّ إدراك كلي له حقيقة خارجية هو صورة لها وهذه الحقائق الخارجية هي ما يسميها أفلاطون بعالم المثل"[29] وهذا يوضح ما سبق ذكره.

أما بالنسبة لأرسطو في كتابه "السياسة" تنازل فيه نقده للنظام الاسبرطي حيث يبين أوجه ضعف النظام ورأى أنه سينتهي ويسقط ذلك عن طريق الانقلاب للبحث عن نظام سياسي أو سيادة دولة فضلى.

"بحثان يدوران حول نظام الكذيمن السياسي ونظام كريني وحول بقية النظم على التقريب أحدهما ينظر فيما من جيد أو سيء بالنسبة إلى النظام الأفضل أو الآخر ينظر فيما يناقض أساس وشكل النظام الّذي يتمشى القوم عليه"[30].

وهنا ترتبط النهاية عند أرسطو بنهاية النظم السياسية الفاسدة.

وأكد فوكوياما في كتابه "نهاية التاريخ وخاتم البشر" بالنسبة للفلسفة اليونانية "فبالرغم من أن التقاليد الفلسفية والتاريخية بدأت مع الإغريق فإنّ الكتاب من الإغريق القدماء لم ينهضوا بمثل هذه المهمة فقط، لقد تحدث أفلاطون في جمهوريته عن دور طبيعة معينة للأنظمة، بينما ناقش أرسطو في كتابه السياسة أسباب الثورة وكيفية حلول نوع من الأنظمة محل نوع آخر"[31].

وهنا يوضح لنا فوكوياما أن نهاية التاريخ عند الحضارة اليونانية لم تحظى بأفق واسع عندهم.

المطلب الثاني: نهاية التاريخ في الاديان

تعد فكرة نهاية التاريخ في الفكر الفلسفي الديني جزءاً من المنظومة الفكرية الدينية للتاريخ التي كانت تعتمد بشكل أساس على تعاليم الكتب السماوية، ومن مميزات هذه المنظومة «أن العقائد السماوية تجمع على أن الله تعالى قد خلق الكون من العدم، وخلق الإنسان ليؤدي مهمته في إعمار الأرض، ثم ليرجع الإنسان بعد موته ُبعث ويقف بني يدي الله ليحاسبه على أعماله، وتلك كلها تشمل في مسيرة تاريخية بدايتها الخلق ونهايتها البعث والحساب، ورحلة الإنسان بني تلك البداية وهذه النهاية تجسد مسيرة التاريخ البشري العام، ومن ثم يغدو يوم القيامة هو غاية التاريخ ونهايته، على أن هذه الرحلة قد حظيت على الدوام ومنذ بداية الخلق برعاية الله وعنايته وتوجيهه للإنسان ملا فيه خري للمسيرة التاريخية البشرية، وتجلت تلك العناية بتتابع الرسل والأنبياء الذين يبعثهم الله تعالى ليرشدوا الناس إلى الطريق القويم الذي يريد لهم الخالق إتباعه»[32].

ارتبطت فكرة نهاية التاريخ لدى اليهود بفكرة المسيح المخلص التي اتخذوا منها تجديداً للعهد الذي قطعه الله مع أنبيائه إبراهيم ويعقوب وموسى (عليهم السلام) بأن يجعل من بني إسرائيل شعبه المختار، ويمنحهم القدرة لحكم بقاع الأرض كلها، وإذا كان هذا العهد لم يتحقق حسب رؤيتهم، فأنه نتيجة معاصيهم وذنوبهم التي ارتكبوها ولكن لابد أن يأتي اليوم الذي يجيء فيه المسيح المخلص ويجمع شتات بني إسرائيل في القدس التي ستغدو في حينها مدينة لا مثيل لها بين المدن[33].

فنهاية التاريخ مرتبطة لدى اليهود بفلسفة التفوق المؤسسة على قاعدة ثيولوجيا « الاصطفاء الإلهي » و بالتالي برزت مقولة شعب الله المختار إنّه تعال جمعي لعرق يعتقد في ذاته الصفوة والخيرة وبالتالي إن الأرض لم تخلق إلا للشعب اليهودي وأن نهاية التاريخ قائمة على مبدأ تحقيق العالمية اليهودية وفق الوعد الإلهي و العالمية اليهودية تتجلى كحقيقة في مملكة إسرائيل الكبرى إن هذا الهاجس التاريخي جعل اليهود على مر الزمان بؤرة الحدث التاريخي ولعل هتلر لم يكن مدفوعا إلى التنكيل باليهود إلا لكونهم أكثر حضورا في التاريخ البشري[34].

أن فيلون مزج بني الدين والفلسفة وهو لا يفصل بينهما فرغم أخذه عن حكماء اليونان واعترافه بعبقريتهم،

وإبداعهم إلا انه يبدأ بنصوص التوراة وأولها على ضوء الفلسفة[35] ولهذا قيل أن فيلون هو المسؤول الأول عن خلط الفلسفة اليونانية، بالوحي والإلهام الشرقين[36] وكذلك يعرف عن فلسفة فيلون وبالخصوص فكرة الخلاص انها قد انعكست على فكرة نهاية التاريخ اذ انه «استبعد من اليهودية كل طموح سياسي ونقل تصور اليهود من خيرات دنيوية ومستقبل سعيد لشعب إسرائيل إلى وعود بخيرات روحية للنفس الصالحة، وبسيادة الشريعة في العالم، وحتى مسألة التئام شمل اليهود في بلد واحد بعد توبتهم، فأنه يؤلها الى اجتماع الفضائل في النفس وتناسقها بعد ما تحدثه الرذيلة من تشتت»[37].

ويمكن أن نستنتج مام سبق أن فكرة نهاية التاريخ مع الفكر الفلسفي اليهودي بقيت ضمن دائرة الفكر الديني والشعبي، ولم تتبلور لديهم رؤية فلسفية دينية عن نهاية التاريخ عن طريق كتابة تاريخ شمولي يبينون فيه مسيرة التاريخ وغايته.

أما المسيحية لقد ارتبطت فكرة نهاية التاريخ في الديانة المسيحية بفكرة عودة المسيح مرة ثانية الى العالم جالباً معه يوم الحساب، وافتتاح مملكة السماء المتسمة بالبركات والكمال، كما ان فكرة نهاية التاريخ في الديانة المسيحية قد تحدد وقتها وزمانها ضمن تعاليم المسيح بالله سبحانه وتعالى كما تبين ذلك من خلال (إنجيل مرقس الإصحاح 13آية 32- 33) «وإما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم، بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الأب»[38] ويرجع طرح هذه الفكرة الى زمن السيد المسيح× عندما كان الناس يتساءلون عن موعد نهاية التاريخ ومجيء ملكوت الله الى الأرض، ويشير إنجيل متى إلى أن تلاميذ المسيح× قد وجهوا إليه هذا السؤال وهو جالس على جبل الزيتون فقالوا: «قل لنا متى يكون هذا، وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟ فأجابهم إجابة عامة مبهمة عن بعض الظواهر والعلامات التي تسبق ذلك اليوم ثم قال لهم «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السماء، إلا أبي وحده»[39].

أما في الفكر الفلسفي الديني المسيحي فأن رائد فكرة نهاية التاريخ هو القديس سان أوغسطين الذي تصور التاريخ الإنساني كله عبارة عن مدة من الزمان تتحقق فيها، خطة الله في خلاص الأنسان منذ أن وقع آدم في الخطيئة[40] فقد كانت الظروف بحاجة الى طرح نظرية تدافع عن المسيحية، اذ كانت الإمبراطورية الرومانية على وشك السقوط، وكانت الفكرة الشائعة أن انحلال الدولة راجع الى انتشار المسيحية بوصفها بديلاً دينياً أضعف ديانة الدولة والهة الرومان، فتصدى أوغسطين للدفاع عن المسيحية بوصفها مثل اعلى للدولة أو مدينة الله على، الأرض[41] وتعد محاولة اوغسطين أول محاولة لكتابة التاريخ الشمولي[42] وقد ترجمت محاولته بكتابه (مدينة الله) الذي هو، دراسة لجميع مظاهر الحياة الروحية والسياسية والعلمية والفنية على امتداد التاريخ اذ حاول من خلالها الخروج برؤية شمولية، للتاريخ[43].

فتجعل فكرة نهاية التاريخ مرتبطة بفكرة الخلاص التي تحدث فقط عندما تتحد الأقانيم الثلاثة مشكلة المطلق[44].

اما الفكر الإسلامي المنطلق الجوهري فيه للتاريخ هو الله فهو خالق التاريخ والحاضر فيه دائما وهو الذي يحدد نهاية التاريخ، وتعد إرادته محور الزمن، ولقد أشارت بعض آيات القران الكريم الى التاريخ بوصفه ماضياً وحارضاً لكي تحدد رؤيتها الى المستقبل في تنبؤات تاريخية يحيطها علم الله[45] ثم إن التحول من التاريخ المؤقت إلى التاريخ الأبدي المسؤول عنه هو الله (سبحانه وتعالى) إلا أن القرآن الكريم لم يشر الى الوقت المحدد او الساعة لهذا الفعل الإلهي بل أشار إلى أسماء وصفات وعلامات الاقتراب هذا الوقت قال تعالى: ﴿**إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[46] وقوله: ﴿**يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا**﴾[47] من خلال الآيتين الكريمتين في القرآن الكريم يتبين ان محصلة الفعل البشري في التاريخ المؤقت يُقرر شأنها في نهاية الزمان[48].

3. مفهوم نظرية نهاية التاريخ فوكوياما

تتضح رؤية فوكوياما حول مفهوم نهاية التاريخ فهو يرى ان الديمقراطية الليبرالية هي النقطة النهائية لتطور الايدلوجيا البشرية، وان التناقضات والعيوب الموجودة في أشكال الحكم القديمة التي تتميز بأخطاء لا يقبلها العقل غير موجودة في النظام الديمقراطي الليبرالي، ويفسر ذلك فوكوياما بقوله (لا يعود ذلك لكون الديمقراطيات

الثابتة اليوم كمثل فرنسا والولايات المتحدة وسويسرا، لم تعرف لا المظالم والمشاكل الاجتماعية الخطيرة، ولكن لأن هذه المشاكل كانت تنجم عن التطبيق غير الكامل مبدأي الحرية والمساواة اللذين هما الركيزتان لأية ديمقراطية حديثة، وليس من هذين المبدأين بالذات قد تفشل بعض البلدان الحديثة في إقامة الديمقراطية الليبرالية، وقد يقع بعضها في أشكال بدائية للحكم مثل البيروقراطية أو الدكتاتورية العسكرية، فالمثال الأعلى للديمقراطية الليبرالية لا يمكن تحسينه على صعيد المبادئ)[49].

ان تطور المجتمع في التاريخ وصل الى شكله الأخير في نظر فوكوياما بالديمقراطية الليبرالية وهي الطريقة الوحيدة القابلة للحياة والتي تعني " مجموعة من المؤسسات ترتكز على الجانب الليبرالي، الذي يشير الى سلطة محدودة للدولة، حيث يسمح للأفراد والمواطنين بممارسة قدر كبير من الحرية الشخصية، وقدرتهم على المشاركة في الحياة السياسية، وحرية التعبير وما الى ذلك والجانب الديمقراطي يعني ان الجانب المشروع في اختيار الحكومة هي الديمقراطية والخيار الديمقراطي وهذا ما يوجد اليوم في أكبر دول العالم في الولايات المتحدة وفي دول أوربا الأساسية"[50].

ويرى فوكوياما أن العالم سينقسم إلى جزء ما بعد تاريخي يضم الدول الديمقراطية الليبرالية، وجزء آخر يظل دائماً في التاريخ ودورته المفتوحة، ويشمل الدول غير الديمقراطية الليبرالية، إلا إذا انتقلت هذه الأخيرة إلى جنة الديمقراطية الليبرالية، وعندها ترقى إلى الجزء لما بعد التاريخي، أما العلاقات بين العالمين، فسوف تتوافر لها محاور عديدة يتصادمان فيها، وستظل متسمة بالحذر والخوف المتبادلين بحيث تبقى الكلمة الفصل للقوة، وتظل الإمبريالية -بما هي هيمنة مجتمع على مجتمع آخر بالقوة- والحرب تمثلان ثابتين في الدول التاريخية، ووسيلتين تتحقق بهما غريزة شيء من التسلط والاستبداد، التي تشكل السبب الرئيس لنشوب الحروب والصدامات بين البشر وبين الدول[51].

المطلب الأول: محتوى نظرية نهاية التاريخ لفوكوياما

لا تخرج هذه النظرية عن اطار ما سبق طرحة في نهاية التاريخ من حيث الفكرة والمضمون فقد قال موسى نجاد "يشارك فوكوياما كلاً من: هيجل وماركس، في أن تطوّر المجتمعات البشرية له نهاية حتمية، وستصل المجتمعات يوماً إلى النهاية لكنْ رغم أفكاره تلك يقدّم الديموقراطية الليبرالية على أنها أقصى ما ستصل إليه الإنسانية على المستوى الأيديولوجي حاول فوكوياما التوفيق بين طريقين من التفكّر: الليبرالية الإنجليزية؛ وديالكتيك هيجل ورغم نظرته المتفائلة كان متردّداً حول المستقبل البعيد للديموقراطية الليبرالية توقف الحياة الاجتماعية من الآراء التي طرحها فوكوياما، مدّعياً احتمال أن نكون مستقبلاً «آخر إنسان»... فالإنسانية التي لا تفكر إلاّ في راحتها ورفاهيتها، وتفتقد الرغبة نحو الأهداف المتعالية، إنسانية محرومة "[52].

وقد أوضح فوكوياما محتواها بقوله "أن الديمقراطية الليبرالية تشكل نقطة النهاية في التطور الأيديولوجي للإنسانية، والصورة النهائية لنظام الحكم البشري، وبالتالي هي تمثل نهاية التاريخ بعد أن لحقت الهزيمة بالأيديولوجيات المنافسة مثل الملكية الوراثية، والفاشية، والشيوعية"[53].

وقد كشف فوكوياما عن الغرض الأساسي من وراء فكرة نهاية التاريخ وهو الاختلافات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين شعوب العالم شعوب ليبرالية وأخرى ما قبل الليبرالية ولذلك ينقسم العالم في نظر فوكوياما " في المستقبل المرئي الى شطر قد تخطي التاريخ وشطر لا يزال غارقا في التاريخ وفي العالم ما بعد التاريخ، وسيكون الاقتصاد هو المحور الرئيسي للتفاعل بين الدول ففي الوقت الذي تتضاءل فيه أهمية القواعد العتيقة لسياسة القوة، سيكون ثمت تناقض كبير في المجال الاقتصادي ولكنه محدود في المجال العسكري، وسيظل العالم ما بعد التاريخ (والمقصود هنا الدول الغربية ذات التوجه الليبرالي) مقسما الى دول قومية قد تصالحت مع الليبرالية وسيكون تعبيرها عن نفسها على نحو متزايد في مجال الحياة الخاصة وحدها، وفي هذه الاثناء ستكون العقلانية الاقتصادية سببا في تآكل مظاهر تقليدية عديدة للسياسة، بقدر ما ستؤدي الى توحيد الأسواق والإنتاج"[54].

ولا تتعلق "نظرية نهاية التاريخ"عند فوكوياما، في الديمقراطية الليبرالية كنظام للحكم وحسب، بل يؤكد أن الليبرالية الاقتصادية، هي النظام الاقتصادي الذي سيسود في نهاية التاريخ أيضاً، إذ أن المبادئ الليبرالية في

الاقتصاد – أي السوق الحرة – قد انتشرت ونجحت في خلق مستويات من الرخاء المادي لم نعهدها من قبل سواء في الدول الصناعية المتقدمة أو في دول كانت وقت الحرب العالمية الثانية جزءاً من العالم الثالث الفقير، فالثورة الليبرالية في الفكر الاقتصادي كانت أحياناً تسبق، وأحياناً تبلور الاتجاه صوب الحرية السياسية في مختلف بقاع الأرض.

ويري فوكوياما أن الدولة التي ستسود في نهاية التاريخ هي الدولة الليبرالية، وسبب ذلك- في اعتقاده- أن الدولة الليبرالية تتسم بأنها "دولة عقلانية" لأنها تحقق مصالحة بين (مختلف) المطالبات المتنافسة وذلك على الأساس الوحيد المقبول من الجميع[55].

المطلب الثاني: بداية نظرية فوكوياما

يمكن اعتبار انهيار الاتحاد السوفياتي وانتهاء الحرب الباردة، بداية عهد في النظام العالم الجديد[56]، ومن أهم خصائص هذا النظام الجديد في الوهلة الأولى انتقال العالم إلى أحادية القطب في حقل السياسات الدولية. وفي الحقيقة فإن نهاية الحرب الباردة وانهيار المعسكر الشيوعي دفع بأغلب المفكرين الغربيين إلى طرح مسألة انتصار الغرب والرأسمالية. وما أطروحة «نهاية التاريخ» المعروفة ليوشيهيرو فرانسيس فوكوياما، إلا بيان لهذا المدعى.

في مقالته «نهاية التاريخ» (1989م)، وبعد ذلك في كتابه «نهاية التاريخ والإنسان الأخير» (1992م)، يذهب فوكوياما إلى الادعاء والعمل على كتابة تاريخ عام بالنظر إلى المتغيرات والتحولات الراهنة في العالم، ليشمل بهذا التاريخ جميع البشرية. في هذه الرؤية يتم اعتبار النظام الليبرالي الديمقراطي نقطة انتهاء التطور الأيديولوجي للإنسان، والشكل الأخير للدولة في تاريخ البشر. تقول نظرية «نهاية التاريخ»: إنه وبسبب الافتقار إلى البدائل المعتبرة بعد إخفاق الشيوعية، سوف يكون النظام الليبرالي الديمقراطي هو الصيغة الأخيرة والشاملة لتاريخ البشر؛ بمعنى أن هذه الصيغة لن تكون هي الصيغة التي تعم جميع العالم بالضرورة فقط، بل لن تكون هناك صيغة أخرى غيرها في مستقبل البشرية أيضاً. وبذلك يتم اعتبار عالمية الليبرالية الديمقراطية هي المصير المحتوم للبشر. وقال في ذلك: «إن ما نشاهده ليس مجرد نهاية الحرب الباردة أو العبور من مرحلة تاريخية خاصة، بل إننا نشهد على نهاية التاريخ، حيث نرى منعطفه في التكامل الأيديولوجي وشمولية الديمقراطية الليبرالية الغربية بوصفها آخر الدول البشرية»[57].

وقد قامت نظرية فوكوياما على أنقاض ماركس وهيجل لهذه النظرية التي اندثرت حيث كان لكل منهما نظرة مختلفة قال محمد وقيدي "رغم ان هيجل وماركس اختلفا مع ذلك في تصور الشكل الذي يكون بالنسبة اليهما نهاية التاريخ تطور اشكال المجتمع فقال مارس بأن هذا الشكل هو المجتمع الشيوعي"[58] اما هيجل يرى الحرية هي المحرك الأساسي "قال هيجل بأن الحرية هي المحرك الأساسي للتاريخ الإنساني، وان هذا التاريخ اجتاز ثلاث مراحل للوصول الى التحقق المطلق لفكرة الحرية، ومرحلة ابتدائية شهدت استبداد الطاغية بالحكم (عصر الإمبراطوريات الشرقية الصينية والفارسية والفرعونية) ومرحلة وسطة أضحى فيها بعض الناس أحرارا (عصر الدولة اليونانية والرومانية) ومرحلة عليا غدت معها الحرية حقا عاما يتمتع به كل الفرد (عصر الدولة المسيحية الجرمانية) فالروح- كما يرى هيجل- شهدت اغترابا في المرحلتين اللاوليتين لكنها ما لبثت ان عادت في المرحلة الثالثة الى ذاتها حيث حققت الفلسفة الهيجلية على وجه الخصوص التعبير الكامل عن (روح المطلق)"[59].

وقد احيى المفكر فوكوياما هذه الفكرة التي دفنت مع صاحبها بعد محاولة الكسندر كوجيف إعادة قراءة وتأويل اعمال هيجل كما قال محمد وقيدي "عمل بعد ذلك الفيلسوف الكسندر كوجيف على تعميق هذه الأطروحة، من خلال إعادة قراءة وتأويل اعمال هيجل يقول كوجيف بهذا الصدد (لقد اعتقدت لزمن طويل ان القول بنهاية التاريخ ترهة واكذوبة، ولكنني لما قلبت الأمر من جميع وجوهه اتضح لي ان هذه الفكرة استشراف ذكي رائع) وفي الوقت الذي اعتقد دارسون ان حكاية نهاية التاريخ قد دفنت مع صاحبها قام المفكر الأمريكي- الياباني الأصل- فرنسيس فوكوياما بإحياء الفكرة وتجديد القول في هذه المسألة في محاضرة له نشرتها مجلة

NATIONALINTEREST سنة 1998 حيث ربط فكرة نهاية التاريخ، بتحقق الديمقراطية الليبرالية"[60].

4. أسس نظرية فوكوياما

لقد اقام فوكوياما نظريته على أن الفكر السياسي في نظريته "نهاية التاريخ" يتمحور حول نقطة جوهرية وهي الليبرالية الديمقراطية التي انتهي اليها التاريخ والعالم وأن أمريكا قد تربعت على عرش التاريخ البشري ولا توجد أيديولوجية ما يمكن أن تتحدي الديمقراطية وأكد فوكوياما بأن التاريخ في شتى مجالاته قد وصل إلى مثله الأعلى.

المطلب الأول: يجب النظر إلى التاريخ كعملية تطورية

الأساس الأول الذي يراه فوكوياما لنظريته هو ان التاريخ يتطور ويؤكد فوكوياما في كتابه "نهاية التاريخ" على محور جوهري قال "فليس التاريخ سلسلة عمياء من الأحداث. وإنما هو كل ذو مغزى نمت فيه أفكار بشرية حول طبيعة النظام السياسي والاجتماعي ومضى بها إلى غايتها. وإن كنا اليوم قد بلغنا مرحلة لا نستطيع معها تخيل عالم شديد الاختلاف عن عالمنا"[61].

يطرح فوكوياما سؤال جوهري يتعلق بغائية التاريخ وتطوره فجاء السؤال على الشكل التالي: هل تتطور المجتمعات أو معظمها في اتجاه واحد أو معين أم أن التاريخ ينهج منهجاً دوريا أو عفويا معين؟ وهنا فوكوياما في نظريته التي وضعها وحددها في نهاية التاريخ ولهذا يبدأ بإثارة مسألة ما إذا كان التاريخ هو الاتجاه أم لا؟ وماذا إذا كان لتاريخ محركات تصنع اتجاه التاريخ ولهذا نجد فوكوياما يحاول فهم الآلية التي تحدد مسار التاريخ والمفاتيح والمسلمات لفهم التاريخ وقبل أن نفصل في ماذا يتناوله فوكوياما نذهب إلى تحديد مفهوم الغائية.

الغائية: صفة كلّ ما يتجه عن قصد إلى هدف معين ومنها الملائمة بين الوسائل والغايات وخضوع الأجزاء للكل وهناك غائية خارجية يكون الهدف فيها خارجا عن الكائن نفسه وغائية داخلية يكون الهدف فيها ذات الكائن"[62] هنا الغائية تعني الوصول إلى هدف معين يكون محددا ومسطرا من قبل الإنسان عن طريق الوسائل للوصول إلى الغائية.

"كما يعرف عن المذهب الغائي مقابل المذهب الآلي (الآلية) ويطلق على كلّ نظرية تعلل ظواهر الوجود بالأسباب الغائية"[63] فإنّ مآل التاريخ أو غائية التاريخ عند فوكوياما استنادا للتعريفين السابقين وربطهما بغاية فوكوياما فإنّ غاية التاريخ عنده هو تطور والتقدم التاريخي نحو الديمقراطية الليبرالية وهي في اعتبار فوكوياما في نظرية نهاية التاريخ هي آخر ما يصل إلى الإنسان وآخر غاية للتاريخ.

وقال جواد النعماني في هذا المعنى "ان التاريخ غائي بمساره العام، بمعنى ان المجتمعات الانسانية تتطور باتجاه واحد، وليس بوسع أي شكل من اشكال التنظيم الاجتماعي أنْ يتكرر في مجتمع ما بعد تجاوزه، وإلا لزمنا القول بعفوية أو دورية التاريخ وأن يمكن فيه تكرار ما مضى من ممارسات اجتماعية أو سياسية كعودة أباطرة روما أو نظام الرق والمجالدة ونحوها.

أما الآلية التي تضفي على التاريخ غائيته، فَيَلتمِسُها واضع الأطروحة من مقالة أثنين من فلاسفة التنوير: برنار فونتنيل وفرانسيس بيكون من إن المعرفة العلمية مفتاحا لغائية التاريخ. سيّما العلوم الطبيعية الحديثة مما ليس للموهبة أو الاحتراف دور فيه، وانتخاب العلوم الطبيعية لعدم مخالفة أحد في تراكميتها وعدم عفويتها، ضرورة عدم عودة البشرية – بالظرف الطبيعي – إلى حالة الجهالة بعد خروجها منها"[64].

يُجادل فوكوياما بانتظامِ التاريخ بمعنى عدم اتخاذه مساراً دورياً أو عشوائياً. التاريخ الموجه يعني عدم عودة أشكال التنظيم المجتمعي المنحلة. يتطلب المسار الموجه للتاريخ عدة آلياتٍ ثابتة أو سابقاتٍ تاريخية تملي التطورَ ناحيّةَ اتجاه محدد، مع الاحتفاظ بذاكرةٍ عن العصورِ السابقة. يحدد فوكوياما العلم الطبيعي الحديث كآلية محتملة خلف التغيرات التاريخية الموجهة، لأنه النشاط الاجتماعي الوحيد المجمع على تراكميته. بمعنى أن العلم الطبيعي الحديث ليس عشوائياً ولا دورياً، فالبشر لا يعودون إلى حالة الجهل السابقة بشكل دوري ونتائج العلوم الطبيعية ليست خاضعة للأمزجة والأهواء. تأسيس أو اكتشاف المنهج العلمي لم يكن حادثاً عشوائياً وقسم

الفترات التاريخية للبشرية إلى قبل وبعد. هناك طريقتان لتأثير العلم الطبيعي الحديث على اتجاه التاريخ: التنافس العسكري والنمو الاقتصادي[65].

المطلب الثاني: استمرارية الأحداث في نهاية التاريخ

اما الأساس الثاني هو لا يمكن لأحداث التاريخ أن تصبح ذات معنى إلا إذا تعلقت بهدف أكبر، وتحقيق ذلك يتطلب وصول صيرورة التاريخ إلى نهاية. هذه النهاية هي ما يجعل من أحداث معينة مفهومة للإنسان. المحاولات الأولى لكتابة علمانية شاملة لتاريخ البشرية بدأت بتأسيس المنهج العلمي في القرن السادس عشر مع غاليليو غاليلي ورينيه ديكارت وفرانسيس بيكون. افترض هؤلاء وغيرهم إمكانية المعرفة وبالتالي السيطرة على الطبيعة الخاضعة لمجموعة واضحة ومفهومة من القوانين أو القواعد الشاملة. هذه المعرفة لا يمكن انتقالها من شخص لآخر فحسب، بل هي متراكمة عبر أجيال متعاقبة بحيث لا تضيع الجهود بتكرار أخطاء الأجيال السابقة[66]. إذاً فكرة التقدم متأصلة في نجاح العلم الطبيعي الحديث باعتباره اكتساباً غير محدودٍ من المعرفة.

تتحقق هذه النهاية بادراك الإنسان لحريته في مجتمع ترتبط فيه الحرية تحت القوانين الخارجية، بأعلى درجات السلطة. بمعنى أن إنشاء دستور مدني عادل هو أحد أصعب التحديات التي تفرضها الطبيعة على جميع الجنس البشري. يقول فرانسيس أن محاولة تحقيق هذه الغاية هي الوسيلة التي يمكن من خلالها فهم عملية التقدم في التاريخ. ويطرح التساؤل ما إذا كان التاريخ الشامل للبشرية مع أخذ جميع المُجتمعَاتِ والأوقاتِ بعينِ الاعتبار، يشير إلى تقدمٍ إنساني باتجاه الحكم الجمهوري، أو ما يُفهم في العصر الحديث بالديمقراطية الليبرالية[67].

أن التاريخ لن ينتهي إلاّ بانتهاء التقدم العلمي الذي هو في مرحلة نمو هائلة، قائلاً إن "التقدم في علم الحياة والتقنيات المتعلقة بها سيؤدي إلى نقل الإنسان إلى مرحلة ما بعد الإنسانية"[68].

"لهذا نجد أن علم الاقتصاد يبحث في التوازن العامل بين الإنتاج وبين الاستهلاك، فهو من جهة يصف تطور وتقدم الإنتاج وبالتالي يصف وسائل الإنتاج المادية والتنظيمية، بما فيها تطبيق العلم الحديث على الطبيعة"[69].

وكذلك يبيّن أن فكرته حول نهاية التاريخ التي أوردها في كتابه السابق بهذا المسمى، والتي مؤداها أن التاريخ قد انتهى بالنموذج الغربي في الحياة الليبرالية الديموقراطية، كانت غير صائبة. ويرى أن "التاريخ لن ينتهي إلا بنهاية التقدم العلمي والذي يبدو أنه قد وضعنا على الطرف المدبب لواحدة من أخطر مراحل التقدم العلمي في التاريخ. والسبب في ذلك يعود إلى تأثير التقدم العلمي خاصة في التكنولوجيا الحيوية على الطبيعة البشرية التي بدورها تحدد النسيج المجتمعي لبني الإنسان"[70].

5. مفهوم الفكر البشري

وتزداد أهمية تحديد المفاهيم والمصطلحات كلما تنبهت الأمة إلى ضرورة تحديد الأرضية الثقافية والفكرية التي ينبغي الوقوف عليها وهي تحاول قدر الإمكان استئناف النظر في مداخل النهضة والتقدم، بنقد كل ما من شأنه تعطيل هذا النظر وكذا النهوض المعاق بفعل عدة عوامل يطول شرحها الآن.

ومن يراجع قواميس اللغة والدراسات المنطقية والعلمية التي عرّفت الفكر وتحدثت عنه، يجد أن للفكر تحديداً واضحاً وتعريفاً دقيقاً في هذه الدراسات والعلوم ومن المفيد هنا أن نعرض مفهوم الفكر في اللغة والمعاجم الحديثة، ثم ننظر إليه من خلال وضعه في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ثم لدي عدد من المفكرين والأكاديميين.

المطلب الأول: الفكر لغة واصطلاحا

1- الفكر في اللغة:

عرف ابن منظور في لسان العرب الفكر بقوله: والفكر: إعمال الخاطر في الشيء، والتفكر اسم التفكير، ومنهم من قال فكري، ورجل فكير: كثير التفكير، وقال الجوهري: التفكر: التأمل[71].

وعرفه الفيروز آبادي بقوله: الفكر، بالكسر ويفتح، إعمال النظر في الشيء كالفكرة[72].

وعرفه الراغب الأصفهاني بقوله: "الفكرة قوّة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكّر جولان تلك القوّة بحسب

نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلاّ فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب"[73].

2- الفكر في المعاجم الحديثة والمعاصرة:

يقول جميل صليبا: "وجملة القول إن الفكر يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أو يطلق على المعقولات نفسها، فإذا أطلق على فعل النفس دل على حركتها الذاتية، وهي النظر والتأمل، وإذا أطلق على المعقولات دل على المفهوم الذي تفكر فيه النفس"[74].

وعرفه صاحب (المعجم الوسيط) بقوله: "الفكر إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول، ويقال لي في الأمر فكر نظر ورؤية، [و] الفكرة: الصورة الذهنية لأمر ما"، ومنها: أفكر في الأمر، فكر فيه، فهو مفكر.

وأفتكر تذكر، وفي الأمر أعمل عقله فيه، ومنها تفكر، والتفكير إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها، ومنها الفكر: الكثير التفكير[75].

أما صاحب الموسوعة الفلسفية فقد ذكر عدة تعريفات منها: الفكر [هو] النتاج الأعلى للدماغ كمادة ذات تنظيم عضوي خاص، وهو العملية الإيجابية التي بواسطتها ينعكس العالم الموضوعي في مفاهيم وأحكام ونظريات (...) هو الشرط الجوهري لأي نشاط آخر، طالما أن هذا النشاط هو نتيجته المجملة والمتمثلة، والكلام هو صورة الفكر"[76].

وترى الموسوعة الحرة[77] أن الفكر هو مجموع العمليات العقلية التي تمكن البشر من نمذجة العالم المحيط بهم، والتالي التعامل معه بفعالية حسب أهدافهم، خططهم، ورغباتهم النهائية. من المصطلحات المتعلقة بالفكر: الإحساسية sentience، الوعي consciousness، الأفكار ideas، المخيلة imagination.

الفكر أو التفكير هي مجموع العمليات الذهنية التي تمكن الإنسان من نمذجة العالم الذي يعيش فيه، وبالتالي يمكنه من التعامل معه بفعالية أكبر لتحقيق أهدافه وخططه ورغباته.

هناك العديد من المصطلحات المرتبطة بمفهوم الفكر، أهمها: الإدراك، الوعي، شدة الإحساس، الأفكار، الخيال.

عملية التفكير تتضمن أيضاً التعامل مع المعلومات، كما في حالة صياغتنا للمصطلحات، والإسهام في عملية حل المشكلات، والاستنتاج واتخاذ القرارات.

يعتبر التفكير أعلى الوظائف الإدراكية التي يندرج تحليلها وتحليل العمليات التي تسهم في التفكير ضمن إطار علم النفس الإدراكي cognitive psychology.

الفكر أيضاً اتجاه يرتبط به الإنسان بعد تفكير لاختيار توجه يقيم على أساسه نهج حياته والقيم الإنسانية التي يسير عليها، والاتجاهات الفكرية تتقاطع فيما بينها بشكل كبير، كما أنه يمكن لأي إنسان اتخاذ مجموعة من المبادئ التي لا تنتمي لتوجه فكري معين واعتبارها توجهاً فكرياً خاصاً.

من أشهر التوجهات الفكرية التي أثرت في الناس الفكر الليبرالي، الفكر الماركسي، الفكر اللينيني الماركسي، الفكر الشيوعي، الفكر الديني، الفكر الإسلامي، الفكر الإلحادي، الفكر الرأسمالي، الفكر الميكافيلي، الفكر الوطني.

المطلب الثاني: الفكر في القرآن الكريم

احتل الحث على استخدام العقل، والدعوة إلى التفكر، والتدبر، والنظر، مساحة واسعة في القرآن الكريم. فقد جاءت مشتقات العقل في تسع وأربعين آية كلها بالصيغة الفعلية، مثل يعقلون، وتعقلون، ونعقل، وعقلوه، ويعقلها، بينما لم ترد كلمة العقل بالصيغة الاسمية في القرآن، وان وردت مرادفاتها بهذه الصيغة، مثل: اللبّ، والحلم، والحجر، والنهى، والقلب، والفؤاد، التي جاءت بمعنى العقل.

واشتمل القرآن على أكثر من ثلاثمائة آية تتضمن دعوة الناس إلى التفكر أو التذكر أو التعقل، أو تُلقِّن النبي ـ صلى الله عليه واله وصحبه وسلم ـ الحجة لإثبات حق أو لإبطال باطل، أو تحكي الحجة عن أنبيائه وأوليائه. ولم يأمر الله تعالى عباده في كتابه ولا في آية واحدة أن يؤمنوا به أو بشيء مما هو عنده أو يسلكوا سبيلاً على العمياء وهم لا يشعرون، حتى أنه علل الشرائع والاحكام التي جعلها لهم.

ويمكن القول إن تلبس العقل في تمام الموارد التي جاء فيها في القرآن بالصيغة الفعلية، يوحي بتوجيه العقل نحو النهوض بوظيفته التي خلق لأجلها، وهي العمل باستمرار على التفكر، والتدبر، والتبصر، والنظر، والتذكر، والتفقه، وهذه كلها أفعال تتطلب فعالية دؤوبة متوثبة للعقل بنحو متواصل.

لقد وردت مشتقات الفكر في القرآن الكريم في عدة مواضع، وحسب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي وردت الكلمة في ثمانية عشر موضعاً بصيغة الفعل، وهذه الصيغ هي: فكر/ تتفكروا/ تتفكرون/ يتفكروا/ يتفكرون بصيغة الفعل، ولكثرتها نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى:

أ- ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[78].

ب- ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾[79].

ج- ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[80].

6. نهاية التاريخ في القران

أشرنا سابقاً ان المقصود من نهاية التاريخ هو النظام الذي يحكم العالم بالعدل والمساواة لا يوم القيامة الذي هو نهاية الوجود فالقرآن دستور لتنظيم حياة الناس بأدق تفاصيلها من بناء أنفسهم الى بناء الدولة فلا يمكن ان يأتي نظام أرقى وأكمل من النظام الذي سنه الله في القران أما نهاية التاريخ في منظور القرآن الكريم فقد وردت آيات كريمة حددت مفهوماً لنهاية التاريخ يرتكز على قاعدة انتصار الحق وإحقاقه، من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[81]. وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[82]. وقوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ(7) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾[83]، ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[84]. إلى غير ذلك من آيات كثيرة يفهم منها أن قوانين الحق هي الأقوى، وهي التي تبقى وتسود وتنتصر في الأخير، وهذه سنة الله في الحياة التي لا تبديل فيها ولا تحويل.

المطلب الأول: التاريخ في القران

حمل القران في داخله تاريخ ما قبل الإسلام منذ ادم الى بعثة النبي الخاتم ونقل ايضاً تاريخ الإسلام وفيه تاريخ ما سيأتي وقد بين تفصيل ذلك رضوان السيد حيث قال: " يملك القرآنُ الكريم تصوراً للتاريخ يعتمد على ثلاثة عناصر: الزمان، والمكان، والفكرة. أمّا الزمان فينقسم إلى ثلاثة أقسام: الزمان ما قبل التاريخ أو ما فوق التاريخ، والزمان الطبيعي، والزمان التاريخي. وأَقصِدُ بالزمان ما فوق التاريخ ما يذكُرُهُ القرآنُ الكريم من خطاباتٍ وإشاراتٍ وقَصص عن عوالم الملائكة والجنّ، وعن آدم في الجنّة، وعن الجنة والنار، وعن القيامة والمصائر الكونية والإنسانية في ظلِّها. وهو "ما فوق التاريخ"؛ لأنه لا يرتبط بحقبةٍ معيَّنةٍ، كما أنه لا يرتبطُ بالمكان، فالزمانُ الإنساني حالةٌ أو عددٌ أو خطابٌ يتحدد بالمكان، وليس الأمرُ كذلك في الخطابات القرآنية بشأن العوالم أو الذوات أو الأشياء الأُخرى؛ بيد أنّ هذه "الزمانيات" التي تحدث ما قبل الزمان الإنساني أو ما بعده لا يُحكَمُ عليها بالصحة أو عدمِها من طريق مدى ارتباطها بالمكان؛ لأنها في الأصل غير مكانية، وإنّما تتجلَّى أهميتُها في التصورات الكلية التي تُريدُ تثبيتَها فيما يتعلَّقُ بالكون وقدرة الله عزَّ وجلَّ، كما تتجلَّى تلك الأهميةُ في الفكرة التي تريد تثبيتها عن خَلْق الإنسان ومصائره ووظيفته في هذا العالم. وهكذا فالزمان ما فوق التاريخي- أو ما قبل التاريخي- يقوم على الغائية، ويملك وظائف تصوُّرية وأُخرى تفسيرية، ولكلا الأمرين أبعادٌ رمزيةٌ كبرى. وأما النوعُ الثاني من الزمان في القرآن فهو الزمانُ الطبيعي، وهو يظهرُ في النصوص التي تتحدث عن خَلْق العالَم والإنسان، وهي متصلةٌ بفيزياء العالَم وبيولوجيا الكائنات، وهي طبيعيةٌ وليست تاريخية رغم حدوثها في هذا العالم؛ لاستنادها إلى قوانين ثابتة تضمنُها قدرة الله- عزَّ وجلَّ- وإرادتُه، ولا مدخل للإنسان في كينونتها الأُولى، وإن أثَّر المكانُ وأثَّر الإنسانُ في مراحلها التطورية. هذا النوعُ من الزمان تاريخيٌّ بالمعنى العامّ؛ لأنّ لمحتوياته بدايةً، كما أنه قابلٌ للدراسة والتفحُّص بالمعنى العلميّ لذلك. ورغم ظهوره وإدراكه بالحواس وخضوعه للاختبار؛ فإنّ القصْد القرآنيَّ ليس تتبُّع فسيولوجيا ته أو كيميائياته (كما يعتقد باحثو الإعجاز العلمي)؛ بل- كما فهم المسلمون الأوائل-الاستدلال على وجود الله وقدرته وإحكام صناعة الخَلْق. أمّا النوع الثالثُ من

الزمان- وهو الذي سميثُهُ الزمان التاريخي-فهو يحدث في المكان، وهو يتضمن وقائع محدَّدة (دعوات الأنبياء، ومسالك الأُمَم إزاءها). والقرآن في هذا الصدد واضحٌ لجهتين: القَصَص المتعلّق بالنبوات والأُمم، وضرورة إفادة النبي والمسلمين منها بالإقبال على اعتناق دعوة النبي لكيلا يصيب المسلمين ما أصاب الذين خالفوا دعوات أنبيائهم.

والقرآنُ- بوصفه كتاباً دينياً- يرى العالَمَ في هذا الإطار؛ أي أنه صراعٌ بين الخير والشرّ، وبين الحق والباطل، ولسوف ينتصر الخير بالتأكيد إذا أفاد مُعاصرو دعوة النبي من الماضي وتاريخ الدعوات، وإذا ما التزموا بالمبادئ الكبرى للدعوة. ولذا فإنّ القرآن يذكر على سبيل المثال وقْعة بدر، وكيف وفَّق الله المسلمين لكسْبها، كما يذكر وقعة حنين، وكيف كاد المسلمون يخسرون لولا رحمةُ الله بهم؛ في حين كانت هزيمةُ أُحُدٍ درساً لمّا لم يتبعوا إرشادات نبيهم، ما كان منها عاماً وما كان منها خاصاً بترتيبات القتال. وهكذا فالزمان التاريخي في القرآن له ركيزتان: ارتباط الزمان بالمكان، وارتباطه بالفكرة أو الدعوة؛ بمعنى أنّ النصّ القرآنيَّ لهذه الجهة إنما يؤرّخ لمصائر الدعوة الدينية في التاريخ. والدعوةُ هذه هي دعوةٌ مهدويةٌ؛ أي أنها تتقصَّدُ دَفْعَ الناس والزمان والمكان باتجاه الهداية التي يترتب عليها عُمرانُ العالَم وازدهارُه، كما تترتّب عليها مصائرُ أديانٍ وأُمَم؛ إذ ينتصر المستضعَفون وينهزمُ المستكبرون، وتقوم علاقاتٌ مع "أهل الكتاب" تبعاً للكلمة السواء التي دعاهم النبي والمسلمون إليها. فالتاريخُ بهذا المعنى- وإن بدا في صورة تكرار: دعوة، فرفض، فهلاك. أو دعوة، فقبول، فانحراف أو تحريف يبقى شديد الحيوية؛ ومن هنا تأتي قُدسية هذا التاريخ: أنه مهدويٌّ وغائيٌّ"[85].

هذه القدسية- أي قدسية فكرة التاريخ في القرآن الكريم-تقوم على أن للتاريخ معنى أخلاقياً وروحياً مؤسساً على علاقة الألوهية الحقة بالكون، ودور الإنسان فيه، وذلك بوصفه خليفة الله في أرضه. وكثيرٌ من النصوص القرآنية تؤكد هذا المعنى في مناسبات مختلفة، فهي تحضّ الإنسان على الإقبال على الحياة والعمل؛ ولكنها تحذره في الوقت نفسه من غرور يتهدده؛ فيكون مصيره الهلاك؛ كما حدث لكثير من الأمم من قبل؛ تصديقاً لقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿**سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً**﴾[86] وقوله: ﴿**فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً**﴾[87].

المطلب الثاني: سنن التاريخ

ويصطلح عليها أيضاً بـ(فلسفة التاريخ) أو (تفسير التاريخ)، ويرتكز هذا الاتجاه بصفة أساسية على محاولة بعض المفكرين استخلاص (قانون عام) لتطور المجتمعات الإنسانية من خلال التحليل العقلي للبعد التاريخي.

وقد اعتاد مؤرخو الفكر الغربي أن ينسبوا اتجاه فلسفة التاريخ إلى المفكر الإيطالي (جيوفاني فيكو) الذي نشر كتاباً أسماه (مبادئ علم جديد) عام 1725م، وكان (بوسيه) من رواد هذا الاتجاه، وإن (كان يُؤخذ عليه أنه ذهب على أن تاريخ البشرية بأكمله توجهه القدرة الإلهية)[88]. إنَّ السنن أو فلسفة التاريخ، هو بحث في القوانين التي تحكم تطور حركة التاريخ أي (الحركة الانتقالية) للأمم والمجتمعات من طور إلى آخر ومن مرحلة إلى أخرى وفقاً لاتجاهية السنن ارتقاءً وتطوراً أو انحطاطاً ونكوصاً، فهي ليست من مسائل علم الاجتماع ولا داخلة في موضوعه، وإن نشأ علم الاجتماع في أحضان الفلسفة الوضعية[89].

والدراسات التاريخية أو أفاد من المباحث التاريخية في الصياغات النظرية. والسنن التاريخية هي منظور الحضاري لمسيرة الإنسانية حسب قراءات (فيكو)، (هيكل)، (بوسيه)، وكيسرلنج من المباحث التي شغلت أذهان علماء فلسفة التاريخ مسألة تاريخ البشر، هل تسير وفق قانون خاص أم لا؟ وبعبارة أدق: هل التاريخ مجرد وقائع وجزئيات لا يمكن استخراج أحكام كلية منه؟

يقول الباحث في فلسفة التاريخ (والش) ضمن مقدمة كتابه (فلسفة التاريخ): هل يمكن من الأساس فيما يخصّ وقائع التاريخ وأحداثه الحديث عن تبعيتها لقانون خاص؟ وإذا كان فعلاً هذا القانون حاضراً وموجوداً فما هي هذه القوانين؟ وكيف يمكننا تحديدها؟[90].

توجد اختلافات كثيرة حول هذا الموضوع، فالعديد من فلاسفة الميدان يعتقدون أن حركة التاريخ في وقائعه وأحداثه تخضع لقانون خاص، وتسير وفق نظام خاص، وهم المسمون بالمثبتون.

الخاتمة

النتائج

نستنتج من خلال هذا الطروحة ان نظرية نهاية التاريخ لم تكن من إبداع المفكر السياسي فوكوياما بل كتبت فيها العديد من النظريات والأطروحات التي تتحدث عن فكرة النهايات منذو ان عرف الانسان نظام الدولة كالغريق والرومان وغيرهم.

تعد فكرة نهاية التاريخ في الفكر الفلسفي الديني جزءاً من المنظومة الفكرية الدينية للتاريخ التي كانت تعتمد بشكل أساس على تعاليم الكتب السماوية، ومن مميزات هذه المنظومة أن العقائد السماوية تجمع على أن الله تعالى قد خلق الكون من العدم، وخلق الإنسان ليؤدي مهمته في إعمار الأرض، ثم ليرجع الإنسان بعد موته ُبعث ويقف بني يدي الله ليحاسبه على أعماله، وتلك كلها تشمل في مسيرة تاريخية بدايتها الخلق ونهايتها البعث والحساب، ورحلة الإنسان بني تلك البداية وهذه النهاية تجسد مسيرة التاريخ البشري العام، ومن ثم يغدو يوم القيامة هو غاية التاريخ ونهايته، على أن هذه الرحلة قد حظيت على الدوام ومنذ بداية الخلق برعاية الله وعنايته وتوجيهه للإنسان ملا فيه خري للمسيرة التاريخية البشرية، وتجلت تلك العناية بتتابع الرسل والأنبياء الذين يبعثهم الله تعالى ليرشدوا الناس إلى الطريق القويم الذي يريد لهم الخالق إتباعه.

أن فوكوياما لم ينكر أنه استند إلى نصوص كلّ من هيجل وكارل ماركس في نظريته فعند هيجل الّذي تحدث في فلسفته عن نهاية التاريخ كما زامنه في نفس الوقت كارل ماركس فطرح كلّ منهم نهاية التاريخ من وجهة نظره الخاصة.

الجذور الفلسفية التى انطلق منها فوكوياما في نظريته نهاية التاريخ من نظرية (افلاطون) والتي مفادها ان الانسان مزيج من مركبات ثلاثة: الرغبة والعقل والثيموس ليجعل من الثيموس الذي يعني عند افلاطون القلب والشجاعة ورغبة بالاعتراف بالمفهوم الهيجيلي (جدلية السيد والعبد) فاذا كانت الرغبة والعقل معاً يكفيان لتفسير عملية التصنيع وقسم كبير من الحياة الاقتصادية فإن الثيموس ضروري لتفسير الطموح نحو الديمقراطية الليبرالية، أي لتفسير نضال الناس ضد الغطرسة والعبودية والتسلط. فهم يملكون جانباً ثيموسياً يتمثل باحترامهم لذواتهم وذلك يدفعهم لتفضيل الحكم الديمقراطي الذي يعاملهم معاملة الراشدين لا معاملة الأطفال، ويعترف باستغلالهم كأفراد احرار.

أن أطروحته جاءت على شكل تنظير لنظام عالمي جديد وفقا لمستجدات اليوم من تحول في الأنظمة السياسية والاقتصادية التي تحكمت في سير التحولات التاريخية، وهذا ما سعى فوكوياما إلى تأكيده بإقراره في وجود نظام واحد يحقق الاستقرار والسعادة للعالم تحت شعار الديمقراطية في أحضان الليبرالية.

تعرضت نظرية نهاية التاريخ الى نتقاد فى بنائها الداخلي والى الاسس التى قامت عليها الفلسفية والسياسية من قبل علماء ومفكرين مسلمين وغربيين.

التوصيات

1- طرح بحوث مفصلة في القوانين القرانية في ما يخص بناء الحكومة الاسلامية في جميع جوانبها السياسي والاقتصادي والاجتماعي وغيرها.

2- توسيع البحث حول النظريات الغربية وطرح ما يقابلها من النظريات الاسلامية.

هوامش البحث

(1) مجمع اللغة العربية في القاهرة، المعجم الوسيط، صفحة 13. بتصرّف.

(2) ابن منظور، لسان العرب، جذر أرخ.

(3) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، ص 13.
(4) إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي، ص36.
(5) حسين الموازني، جدليّة الفهم عند غادامير، مجلّة أوراق فلسفيّة، العدد10.
(6) حنفي، حسن، التراث والتجديد موقف من التراث القديم، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، 1980م.
(7) ينظر مصطفى إبراهيم وآخرون المعجم الوسيط، ص 13.
(8) النجار جميل موسى فلسفة التاريخ مباحث نظرية ص6.
(9) عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، ج2، ص 158.
(10) السخاوي، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، صفحة 14- 17. بتصرّف.
(11) مجمع اللغة العربية في القاهرة، المعجم الوسيط، صفحة 13. بتصرّف.
(12) ابن منظور، لسان العرب، صفحة 3- 4.
(13) السخاوي، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، صفحة 17. بتصرّف.
(14) مجمع اللغة العربية في القاهرة، المعجم الوسيط، صفحة 13. بتصرّف.
(15) عبد العزيز الدوري واخرين، تفسير التأريخ، صفحة 6. بتصرّف.
(16) جواد علي، تأريخ العرب في الاسلام، صفحة 12. بتصرّف.
(17) حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، صفحة 11. بتصرّف.
(18) ينظر زياد معن الموسوعة الفلسفية العربية المجلد الأول (مادة نهاية لجورج زيناتي)، ص 820.
(19) ينظر كار ادورد ما هو التاريخ، ص 104.
(20) نفسة المصدر، ص 105.
(21) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، ص509.
(22) اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية ترجمة خليل احمد خليل، المجلد الأول، ص 611.
(23) DICTIONNAIRE HACHETTE ENCYCLOPEDIQUE ,HACHETTE LIVRE, P799.
(24) ENCYCLOPEDIE ALPHABETIQUE LAROUSSE , P 932.
(25) تاتون، رونيه، تاريخ العلم، ترجمة علي مقلد، الجزء الأول، ص 76.
(26) عبد القدر بو عرفة، الأساس الأسطوري لنهاية التاريخ، مجلةInsaniyat، إنسانيات/ 11/ 2000.
(27) التريكي، فتحي، أفلاطون والديالكتيكية، ص 61.
(28) مونتيسكو، تأملات في تاريخ الرومان أسباب النهوض والانحطاط، ص 144.
(29) أمين زكي: قصة الفلسفة اليونانية، ص105.
(30) أرسطو: السياسات نقل الأب أوغسطين، ص86.
(31) فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البر، ص65.
(32) النجار، جميل موسى، فلسفة التاريخ مباحث نظرية، ص 135.
(33) ينظر: الملاح، هاشم يحيى، المفصل في فلسفة التاريخ، ص 89.
(34) نتقد باروخ سبينوزا (B.Spinoza) الفكر اليهودي السياسي وخاصة مقولة "مملكة إسرائيل الكبرى".
(35) ينظر: المعلة، جميل حليل نعمة، تاريخ الفلسفة اليونانية في عصورها المتأخرة، ص14.
(36) ينظر: بيصار، محمد، الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب، ص152.
(37) كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الأوربية في العرص الوسيط، ص249.
(38) الملاح، هاشم يحيى، و آخرون، دراسات في فلسفة التاريخ، ص94.
(39) نفس المصدر، ص 106.
(40) ينظر: بدوي، عبدالرحمن، موسوعة الفلسفة، ج الثاني، ص157.
(41) ينظر: صبحي، احمد محمود، في فلسفة التاريخ، ص 168.

(42) نفس المصدر، ص 170.
(43) ينظر: بدوي، عبد الرحمن، فلسفة العصور الوسطى، ص 38.
(44) محمود، عبد القادر، الفكر الإسلامي والفلسفات المعارضة، ص.209.
(45) ينظر: الملاح، هاشم يحيى، وآخرون، دراسات في فلسفة التاريخ، ص96.
(46) سورة غافر، اية 59.
(47) سورة الأحزاب، اية 63.
(48) ينظر: الملاح، هاشم يحيى، وآخرون، دراسات في فلسفة التاريخ، ص97.
(49) فوكوياما، فرنسيس، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ص23.
(50) نقلا عن: حوار فرنسيس فوكوياما مع قناة الجزيرة في برنامج من واشنطن 8/ 1/ 2004.
(51) عبد الخبير محمود عطا، البعد الديني في دراسة العلاقات الدولية: دراسة في تطور الحقل، في: أماني صالح، وعبد الخبير عطا، العلاقات الدولية البعد الديني والحضاري، دمشق، دار الفكر، ط1، 1429هـ-2008م، ص103.
(52) موسى غني نجاد، نهاية العالم والإنسان الأخير» المعلومات السياسية والاقتصادية، العددان 63 - 64 (آذر ودِيْ 1371هـ.ش)؛ وكذلك العددان 49- 50، 55- 56.
(53) فرنسيس فوكوياما، نهاية التاريخ، ص 8.
(54) نفس المصدر، ص242.
(55) حمد سيف حيدر النقيد، ذ"نظرية نهاية التاريخ وموقعها في إطار توجهات السياسة الأمريكية في ظل النظام الهالمي الجديد"، ص 42.
(56) نعوم تشومسكي، نظم هاي كهنه ونظم هاي نوين (الأنظمة القديمة والأنظمة الحديثة)، ص 14.
(57) فوكوياما، نهاية التاريخ، ص51.
(58) محمد وقيدي، البعد الديمقراطي، ص62.
(59) محمد الشيخ وياسر الطائر، مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، ص60.
(60) نفس المصدر، ص 61.
(61) فرانسيس فوكوياما، "نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ص 58.
(62) إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، ص131.
(63) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، ص 124.
(64) جواد صالح مهدي النعماني، مقال أطروحة نهاية التاريخ والانسان الاخير، اسلوب آخر في القراءة: http://kerbalacss.uokerbala.edu.iq/wp/blog/2021/02/23.
(65) فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ص 72.
(66) نفس المصدر، ص57.
(67) فرانسيس فوكوياما، ‘‘نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ص 59.
(68) فرانسيس فوكوياما، "نهاية الإنسان أو مستقبلنا ما بعد الإنساني" (نتائج الثورة البيوتكنولوجية)، المجلد العاشر، ص 149.
(69) عبد الله العروي، مفهوم الحرية، ص94.
(70) فرانسيس فوكوياما، "نهاية الإنسان أو مستقبلنا ما بعد الإنساني" (نتائج الثورة البيوتكنولوجية)، المجلد العاشر، ص 149.
(71) ابن منظور، لسان العرب، مادة فكر.
(72) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة فكر.
(73) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة فكر.
(74) جميل صليبا، المعجم الفلسفي ج2، ص156.

(75) انظر المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون، ج2، ص698.
(76) نخبة من الباحثين السوفيات، الموسوعة الفلسفية، ص 333.
(77) الموسوعة الحرة؛ الفكر: https://ar.wikipedia.org/wiki.
(78) سورة الجاثية، آية 13.
(79) المدثر 18.
(80) الحشر 21.
(81) الأنبياء، آية 105.
(82) الفتح، آية 28.
(83) الأنفال، آية 7- 8.
(84) الشورى، آية 24.
(85) رضوان السيد، القرآن والتاريخ: الرؤية القرآنية في الأُمم والحضارات، ص 11- 13.
(86) سورة الفتح، اية 23.
(87) سورة فاطر، اية 43.
(88) البروفسور. ميشيل لنكن، معجم علم الاجتماع، ص 428.
(89) انكلز، مقدمة في علم الاجتماع، ص 57.
(90) دبليو والش، مقدمة في فلسفة التاريخ، ص65.

المصادر والمراجع

القران الكريم.
1. إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي.
2. ابن منظور، لسان العرب، جذر أرخ.
3. أرسطو: السياسات نقل الأب أوغسطين.
4. أمين زكي: قصة الفلسفة اليونانية.
5. اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية ترجمة خليل احمد خليل، المجلد الأول.
6. انكلز، مقدمة في علم الاجتماع.
7. بدوي، عبد الرحمن، فلسفة العصور الوسطى.
8. بدوي، عبدالرحمن، موسوعة الفلسفة، ج الثاني.
9. بيصار، محمد، الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب.
10. تاتون، رونيه، تاريخ العلم، ترجمة علي مقلد، الجزء الأول.
11. التريكي، فتحي، أفلاطون والديالكتيكية.
12. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الجزء الثاني.
13. جواد علي، تأريخ العرب في الاسلام.
14. حسن عثمان، منهج البحث التاريخي.
15. حسين الموازني، جدليّة الفهم عند غادامير، مجلّة أوراق فلسفيّة، العدد10.
16. حمد سيف حيدر النقيد، ذ"نظرية نهاية التاريخ وموقعها في إطار توجهات السياسة الأمريكية في ظل النظام الهالمي الجديد".
17. حنفي، حسن، التراث والتجديد موقف من التراث القديم، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، 1980م.
18. حوار فرنسيس فوكوياما مع قناة الجزيرة في برنامج من واشنطن 8/ 1/ 2004.
19. دبليو والش، مقدمة في فلسفة التاريخ.
20. الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة فكر.

21. رضوان السـيد، القرآن والتاريخ: الرؤية القرآنية فـي الأُمم والحضـارات.
22. زياد معن الموسوعة الفلسفية العربية المجلد الأول (مادة نهاية لجورج زيناتي).
23. السخاوي، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ.
24. صبحي، احمد محمود، في فلسفة التاريخ.
25. عبد الخبير محمود عطا، البعد الديني في دراسة العلاقات الدولية: دراسة في تطور الحقل، في: أماني صالح، وعبد الخبير عطا، العلاقات الدولية البعد الديني والحضاري، دمشق، دار الفكر، ط1، 1429هـ-2008م.
26. عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، ج2.
27. عبد العزيز الدوري واخرين، تفسير التأريخ.
28. عبد القدر بو عرفة، الأساس الأسطوري لنهاية التاريخ، مجلةInsaniyat، إنسانيات/ 11/ 2000.
29. عبد الله العروي، مفهوم الحرية.
30. فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البر.
31. فرانسيس فوكوياما، "نهاية الإنسان أو مستقبلنا ما بعد الإنساني" (نتائج الثورة البيوتكنولوجية)، المجلد العاشر.
32. فرانسيس فوكوياما، "نهاية التاريخ والإنسان الأخير.
33. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة فكر.
34. كار ادورد ما هو التاريخ.
35. كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الأوربية في العرص الوسيط.
36. مجمع اللغة العربية في القاهرة، المعجم الوسيط.
37. محمد الشيخ وياسر الطائر، مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة.
38. محمد وقيدي، البعد الديمقراطي.
39. محمود، عبد القادر، الفكر الإسلامي والفلسفات المعارضة.
40. مصطفى إبراهيم وآخرون المعجم الوسيط.
41. المعلة، جميل حليل نعمة، تاريخ الفلسفة اليونانية في عصورها المتأخرة.
42. الملاح، هاشم يحيى، المفصل في فلسفة التاريخ.
43. الملاح، هاشم يحيى، وآخرون، دراسات في فلسفة التاريخ.
44. موسى غني نجاد، نهاية العالم والإنسان الأخير» المعلومات السياسية والاقتصادية، العددان 63 - 64 (آذر ودِيْ 1371هـ.ش)؛ وكذلك العددان 49- 50.
45. مونتيسكو، تأملات في تاريخ الرومان أسباب النهوض والانحطاط.
46. ميشيل لنكن، معجم علم الاجتماع.
47. نتقد باروخ سبينوزا (B.Spinoza) الفكر اليهودي السياسي وخاصة مقولة "مملكة إسرائيل الكبرى".
48. النجار جميل موسى فلسفة التاريخ مباحث نظرية.
49. نخبة من الباحثين السوفيات، الموسوعة الفلسفية.
50. نعوم تشومسكي، نظم هاي كهنه ونظم هاي نوين (الأنظمة القديمة والأنظمة الحديثة).
51. الموسوعة الحرة؛ الفكر: https://ar.wikipedia.org/wiki.
52. جواد صالح مهدي النعماني، مقال أطروحة نهاية التاريخ والانسان الاخير، اسلوب آخر في القراءة: http://kerbalacss.uokerbala.edu.iq/wp/blog/2021/02/23.
53. DICTIONNAIRE HACHETTE ENCYCLOPEDIQUE ,HACHETTE LIVRE, P799.
54. ENCYCLOPEDIE ALPHABETIQUE LAROUSSE , P 932.